

تحقيق طاعة الله ورسوله

كذلك أيضا نطيع الله تعالى، ونطيع نبيه في كل شيء أمرنا به فإنه من آثار العبادة ومن آثار التقوى، الطاعة الحقيقية لله - سبحانه وتعالى- قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } وقال: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآخِذُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلِمُوا أَلَمَّا عَلَيَّ رَسُولَنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ } . ورتب الله تعالى على طاعته وطاعة رسوله الأجر الكبير قال تعالى: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } الفوز هو السعادة يعني سعد سعادة عظيمة عاجلة وأجلة، وقال الله تعالى: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } . فحرص على أن نحقق الطاعة -طاعة الله وطاعة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وتتمثل في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، إذا سمعت أمرا من الله تعالى أو من نبيه -صلى الله عليه وسلم- فإنك تقول: سمعنا وأطعنا، أهلا بأمر الله وبأمر نبيه، لا أمر لنا غير أمره قال الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } فإذا جاء أمر الله تعالى؛ بطلت الخيرة، وبطلت الأوامر الأخرى، فأمر الله مقدم على كل شيء. هكذا يكون الامتثال: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } أي: ليس لهم الخيرة، بل عليهم الامتثال. هذا هو حقيقة الطاعة أي امتثال ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه. أما الذين يأخذون بعضا، ويتركون بعضا، فهؤلاء لم يمتثلوا أمر الله حقا، يصدق عليهم قولهم: { تُؤْمِنُ بَعْضٌ وَتَكْفُرُ بَعْضٌ } وهذه مقالة اليهود، قصها الله علينا؛ حتى نحذر منها { تُؤْمِنُ بَعْضٌ وَتَكْفُرُ بَعْضٌ } وكذلك توعدهم على ذلك بقوله: { أَقْتُمُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ } ونعرف أيضا أن في طاعة ربنا سبحانه وطاعة نبيه -صلى الله عليه وسلم- الخير العاجل والآجل خير الدنيا وخير الآخرة؛ ولذلك رتب الله تعالى على الإيمان والعمل الصالح الحياة الطيبة. يقول الله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يعني في الآخرة. إذا عمل الإنسان العمل الصالح، وكان مع ذلك من المؤمنين أهل العقيدة السليمة وأهل الإيمان الصحيح؛ فحينئذ له الحياة السعيدة الحياة الطيبة، وهذه الحياة الطيبة ليست مجرد أنه يُوسَّعُ عليه في المال، ويوسع عليه في الرزق، وتكثر أمواله وأولاده؛ فإن هذا قد يشترك معه الكفار، والكفار وإن كانوا ذوي سعة في الدنيا؛ فإنهم ليسوا في حياة طيبة. فالحياة الطيبة حقا هي قرة العيون، قرة عين المؤمن، وسعاده وفرحه بما أمر الله به وبما يسره له، وفرحه بالخير الذي عمل له، فهؤلاء هم أهل الحياة الطيبة، وضدهم أهل الحياة الشقية. نذكر بعض الأدلة من حال السلف -رحمهم الله- ذكروا أن إبراهيم بن أدهم كان من أولاد الأثرياء ونحوهم، ولكنه تعبد وترك زينة الدنيا، ثم صار يعيش على عيش شطيف، ومعيشة متطرفة بمعنى أنه يرضى بخشونة العيش حتى كان يتقوت بياض الخبز، الخبز اليابس ويشرب عليه ماء، ومع ذلك يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. تلذذ بالعبادة، وتلذذ بالطاعة، ووثق بربه أنه سيرزقه؛ فوفقه الله تعالى وأحياه حياة طيبة، هو يقول: لو أن الملوك شعروا بما نحن فيه من لذة الطاعة والعبادة لجالدونا على ما نحن فيه، ولزهدوا في ملكهم، ولزهدوا في زينتهم وزهرة حياتهم. وذكر أنه اشتكى إليه بعض أتباعه وتلامذته، شدة الجوع، لم يكن لهم قوت فاشتد عليه الجوع؛ فنظم له بيتين قال في الأول: أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا حاسر أنا عار ثم قال في الثاني: هي ستة وأنا الكفيل بنصفها فكن الكفيل بنصفها يا بار لما أعطاه هذين البيتين في ورقة؛ يسر الله تعالى له من أعطاه، وكفله وأعطاهم ما يقتاتون به دون أن يسأل مخلوقا، ودون أن يراحم أهل الدنيا في زينة دنياهم. كذلك أيضا ذكر عن بعضهم أنه يقول: مساكين أهل الدنيا خرجوا وما ذاقوا أطيب ما فيها، يريد بأطيب ما فيها لذة الطاعة. أي إن التلذذ بالطاعة هو اللذة الحقيقية، وهو النعيم وهو السرور وهو الجبور، فأهل الدنيا الذين جعلوا دنياهم مجرد الانتفاع بالمأكل والتلذذ بالمشارب ونحوها لم يذوقوا أطيب ما في هذه الدنيا الذي هو التلذذ بالعبادة؛ وذلك لأن أهل العبادة يتلذذون بالعبادات يقول أيضا بعضهم: أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم. أهل الليل يعني: أهل التهجد، وأهل القراءة والذكر، أما أهل اللهو فهم الذين يقطعون ليلهم بلهو وسمر وغناء وطرب، فإن هؤلاء ليسوا ملتذين بلذة الطاعة الحقيقية. ويقول بعضهم: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا، أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. هذه الأوقات التي تمر عليهم مع أنهم في فقر وفاقة ولكن لما كانوا يتلذذون بالعبادة ويرون لها أثرا عظيما كان ذلك ألد عندهم من لذة الدنيا، ومما لو حصلت لهم الدنيا يحذاقونها، يرقص قلب أحدهم طربا، بما أعطاه الله تعالى وبما من عليه. فهذه هي الحياة الطيبة، وهي في الحقيقة أثر من آثار التلذذ بالطاعة، ومن آثار الإيمان والعمل الصالح.